إضاءة

حديث على هامش «جائزة فلسطين العالمية للآداب»

محمود شقير عن الكتابة وحرب الإبادة

يوضّح الكاتب الفلسطيني، لـ«العربي الجديد»، أنّ الجائزة التي حازها مؤخّراً هي «جائزة مستقلّةٌ ولا تتلقّى تمويلاً من أيّة دولة، ولا ترتبط بأيّ نظام حُكم»

القدس المحتلة ـ **العربي الجديد**

بعد منحها للشاعرة والناقدة والمترجمة سلمى الخضراء الجيوسي في دورتها الأُولى عام 2019 ثمّ للروائي إبراهيم نصر الله عام 2021، أعلن القائمون على «جائزة فلسطين العالمية للآداب»، قبل أيام، منحها في دورتها لعام 2023 للروائي والقاصّ الفلسطيني محمود شقير (1941). لا تتوفّر معطياتٌ كافية عن الجهة المانحة للجائزة؛ إذ يكتفي القائمون عليها بالقول إنّها جائزة عالمية غير حكومية أطلقها عددٌ من المثقّفين والأكاديميّين في الغرب، وتُمنح لكتب عن فلسطين والقضية الفلسطينية.

جائزةٌ مستقلّة

حول هذه الجزئية، يوضّح محمود شقير، لـ «العربي الجديد»، أنّ «الجهة المانحة للجائزة، كما عرفتُ من المنشور التعريفي الذي نشرته مؤسّسة الجائزة، تتألّف من أكاديميّين وكتّاب مقيمين في أوروبا والولايات المتّحدة بالتعاون مع جهات شعبية في الوطن العربي، وهي جائزةٌ مستقلّةٌ ولا تتلقّى تمويلاً من أيّة دولة، ولا ترتبط بأيّ نظام حُكم». وقال شقير: «منسّق الجائزة مقيمٌ في نيويورك، وقد كان على اتّصال بي، وأكّد لي أنّ الكشف عن أسماء اللجنة غير ممكن في الظروف الراهنة التي تحيط بكلّ ما له علاقة بفلسطين»، مُضيفاً أنّه لم يُرشّح نفسه للجائزة، بل رشّحته اللجنة «التي تأخذ على عاتقها النظر في كتابات مَن ترى أنّهم يستحقّون الفوز، ثمّ يقوم منسّق الجائزة بالتواصل مع الفائز».

وذكَر صاحبُ رواية «فرس العائلة» (2013) أنّ «المؤسَّسة تمنح الجائزة كلَّ سنتين عن كتب مكرّسة لفلسطين والقضية الفلسطينية، بواقع خمسة كتب في فروع الأدب المختلفة، ومن ضمنها أدب الأطفال، بقيمة خمسة آلاف دولار عن كلّ كتاب فائز»، لافتاً إلى أنّ المؤسّسة لا تُقيم حفلاً لتوزيع الجوائز، و«ذلك لتوفير النفقات التي يُمكن استثمارها في مواقع أُخرى لخدمة القضية الفلسطينية».

ورأى شقير أنّ فوزه بالجائزة يعني له الكثير، «خصوصاً أنّ فيه اعترافاً بأهمّية الدفاع عن القضية الفلسطينية، وعن القدس، عبر الأدب الذي يحترم الشروط الفنّية»، ثمّ إنّني أفوز بجائزة مستقلّة لا ترتبط بأيّ نظام حُكم أو أيّة دولة»، وتابع: «ثمّ إنّني لم أتقدّم لنيل الجائزة، بل هي التي تقدّمت لي وجعلتني من دون علمي الفائز بها».

محمود شقير خلال «معرض فلسطين الدولي للكتاب» ببلدة سردا وسط الضفّة الغربية، 2023

الأدب في زمن الإبادة

حول دور الأدب والفنون في زمن الإبادة الجماعية التي يتعرّض لها الشعب الفلسطيني في غزّة، أشار صاحب «أنا والكتابة: من ألف باء اللغة إلى بحر الكلمات» (2018) إلى ضرورة «تحفيز الأدب والفنّ على الاضطلاع بالدور المطلوب منهما في الدفاع عن عدالة القضية الفلسطينية، وفضح كلّ الادعاءات الكاذبة عن أخلاقية الغزاة وعن احترام داعميهم في الولايات المتّحدة وبعض البلدان الأوروبية لمعايير القوانين الدولية الإنسانية»، مُضيفاً: «هذا التوحّش الرهيب، وعمليات التدمير والقتل والإبادة التي تشاهدها شعوب العالم أجمع كلَّ يوم، لا تترك أيّة فرصة لحجب الحقيقة».

يعتقد محمود شقير أنّ في وسع الأدب والفنون النهوض بدورهما في تعزيز التضامُن مع الشعب الفلسطيني في الأوساط الشعبية والطلّابية عبر العالَم، والتي «لا تزال تجهل حقيقة العدوان الذي تتعرّض له قضيتنا العادلة»، مُردفاً: «هنا بالذات، لا بدّ للأدباء والفنّانين من تخليد هذه المعاناة وتلك التضحيات التي قدّمها وما زال يقدّمها الشعب الفلسطيني، أوّلاً في قطاع غزّة، وثانياً في الضفّة الغربية والقدس وسائر الأمكنة، لتظلّ شاهداً حيّاً على فداحة العدوان، وعلى طهارة الدماء التي أُريقت من أجل الحرّية والكرامة والاستقلال».

لم أتقدّم لنيل الجائزة، بل هي التي تقدّمت لي

بوسع الأدب النهوض بدور في تعزيز التضامُن مع فلسطين

منذ الستّينيات

تشتبك تجربة صاحب مجموعة «الولد الفلسطيني» (1977) مع الواقع الذي سجّله منذ بداياته مع القصّة القصيرة مطلع ستّينيات القرن الماضي، ضمن سردٍ يركّز على تصوير الحياة اليومية في الريف الفلسطيني وأحوال المجتمع وسبر تفاصيله الدقيقة، وكذلك رصد تداعيات الأحداث الكبرى في المنطقة وانعكاساتها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

تميّزت هذه التجربة بمقاربة واقعية تسجيلية للعلاقة بين المدينة والريف الذي كانَ مسرح أحداث نصوصه الأُولى في مرحلة ما بعد النكبة، قبل أن تنحو، بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967، إلى التعبير عن المقاوَمة ضدّ الاحتلال والقمع، والاحتفاء بشخصية المرأة المقاوِمة، إلى جانب الاهتمام بدور المثقّف الملتزم.

كما اشتغل الكاتب، الذي تبنّى أيديولوجيا ماركسية منذ منتصف الستّينيات، على تنويع مضامين الفنّ القصصي الذي أخلص له طوال أكثر من ستّة عقود، والاعتناء بلغة مبسَّطة تحمل عمقاً في إيصال الأفكار والمشاعر، مع نزوع دائم نحو التجريب، عبر توظيف تقنيات وأساليب مختلفة، إضافة إلى تجربته المميّزة في فنّ القصّة القصيرة جدّاً، وأيضاً في كتب السيرة والمذكّرات.

قصصٌ وروايتان

بعد كتابه السيَري «تلك الأزمنة»، الذي صدر في جزأين (2020 و2022) عن «دار نوفل»، يستعدّ الكاتب المقدسيّ لإصدار رواية جديدة عن الدار نفسها في غضون شهرين. يقول لـ«العربي الجديد» إنّه يصف فيها «زماننا الراهن، وما في مجتمعنا من سلبيات يُسهم الاحتلال الصهيوني في ترسيخها»، مضيفاً أنّ في جعبته أيضاً مخطوطة روائية للفتيان ونصوصاً قصصية بطلتُها حفيدته التي تعيش حرب الإبادة في غزّة.

تصويب

بين المدن والبيوت

باسم النبريص

أتنقّل طوال عمري بين المدن والبيوت والقارّات. وإن ظفرتُ بمسكن ريفيّ، أَبلغ النيرفانا الأرضية، حيث هناك مساحة للهدوء والتأمّل ومعايشة تفاصيل الطبيعة. أمّا إن رزأني زماني بمدينةٍ هي الأكثر نشاطاً، مثل أنتويرب، فأشعر بأنّي مظلومٌ ومكتوم الرئتَين. ثمّ يحدث هذا الأمر معي كثيراً: البكاء على أطلال الريف.

البكاء على «باي دي برون»، الحيّ البرشلوني الجبلي، والبكاء على «تيسندرلو» السهلية في مقاطعة «ليمبورخ»، حيث رأيت في كليهما الله الجميلَ وما خلقَت يداه المقدّستان من طبيعة نباتات وطبائع بشر وجَمال، حتّى في لون السماء الذي لا ينفد.

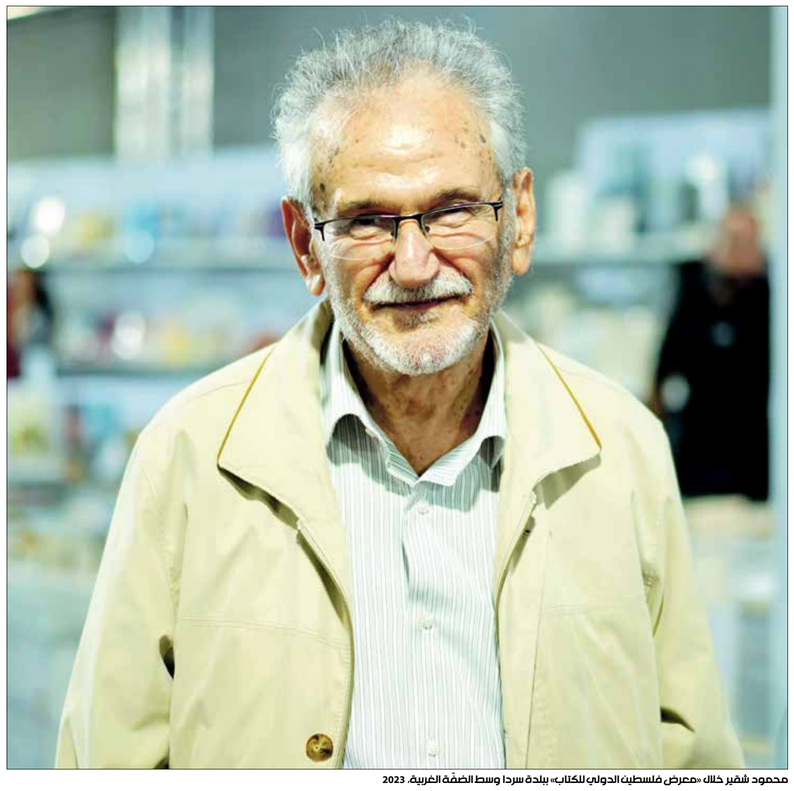

كلُّ المدن عندي متطلّبة وغير تمكينية. كلُّ المدن عندي بنت رساميل شعواء، وفيها لا يمكن لك إلّا أن تكون ترساً في آلة، بلا فرصة في أن تستكشف لأوّل أو آخر مرّة، جانبك الحسّاس.

أمّا في الريف، ألبوم العالم الصافي، فتتحدّث مع النجم والقمر والغابة والعصفور، وزهرة زرقاء، وشجرة برتقال شابة، لا تحمل برتقالاً وإنّما تفيض بوردات جورية كبيرة وحمراء مثل الدم.

لا غرو أنّ العيش هناك مقدّمةٌ للهناءة وراحة البال، بعيداً عمّا نسمعه وما لا نسمعه في التسجيل، من جعير العربات والمركبات.

لقد كان عليّ دائماً أن أبذل جهداً إضافياً للتأقلم، بلا طائل.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

معرض

باسل عبّاس وروان أبو رحمة لماذا نتنفّس وكيف؟

الصوت لمقاوَمة الهيمنة الاستعمارية

يُضيء المعرض، الذي يُفتتح الخميس المقبل، قوّة الصوت باعتباره فضاءً غير مرئي يمكن الإحساس به وإعادة تمثيله في سياق مقاومة الاحتلال

كوبنهاغن ـ **العربي الجديد**

يُعيد الفنّانان الفلسطينيان باسل عبّاس وروان أبو رحمة تركيب الذاكرة في مواجهة الاستعمار الاستيطاني الذي يسعى إلى تغيير الجغرافيا ومحو الحضور المادّي للإنسان الفلسطيني، الذي يصبح صوتُه، بما يعنيه من تردّدات وتذبذبات وأداء، عنصراً أساسياً في المقاومة واستحضار الأحداث التي صاغت التاريخ.

في معرضهما، الذي يُفتتح الخميس المقبل في «مركز الفنون الدولي» بكوبنهاغن، يُراكم الفنّانان البحث حول مفاهيم لطالما تمحورت حولها معظم أعمالهما: الروح الجماعية، وفكرة الانتماء، وحقّ تقرير المصير، في لحظة يمارس فيها الاحتلال أقصى درجات العنف عبر الإبادة والتهجير. باستخدام الصور المتحرّكة والأعمال التركيبية والأفلام، يخلق عبّاس وأبو رحمة حالةً شعورية وذهنية مكثّفة لإيصال الصوت الذي يتراكب في طبقات ويجري تكراره، أو ربط النطق بالمعنى والدلالة، أو التركيز على التأتأة والتقطّعات في الحديث، وغيرها من المجازات لإيصال الصوت الذي قد لا يُسمع، ولكنّه يترك أثره بالتأكيد.

المعرض، الذي يتواصل حتى العشرين من تشرين الأول/أكتوبر المُقبل بالتعاون مع «متحف غليبتوتيك» في العاصمة الدنماركية، يُضيء تلك القوّة وذلك التأثير، باعتبار الصوت فضاءً غير مرئي يمكن الإحساس به وإعادة تمثيله في سياق مقاومة الاحتلال؛ حيث استخدم الفنّانان في عملهما التركيبي «ظرف طارئ» (2010) أجهزة تسجيل مخفيّة لتوثيق المشهد الصوتي لحاجز قلنديا، الذي ثبّته جيش الاحتلال ليفصل بين القدس وشمال الضفّة الغربية خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000.

تتمثّل دلالة تسجيل الصوت في موقف استعماري يعيشه الفلسطينيون يومياً خلال تنقّلاتهم فوق أرضهم، في اختراق السيطرة المطلَقة التي يسعى العدوّ إلى تكريسها. وهنا تبرز أهمّية التنفّس كفعل في مشاريع الفنّانين، اللذين يُوضّحان - في مقابلة صحافية أُجريت معهما عام 2020 - «في التنفّس رفضٌ لفكرة أنّك في غير مكانك، حيث لا ينبغي لك الوجود» على حدّ تعبير باسل عبّاس، وأنّ «النفَس هنا لا يحمل معناه الجسماني فحسب، وإنّما يحمل أيضاً سؤالاً وجودياً، ولا سيما عند شعوب لا يُراد لها الوجود»، وفق تعبير روان أبو رحمة.

وفق هذه الرؤية، ترتبط استمرارية الوجود الفلسطيني بكلّ وحدة صوتية بأشكالها المنطوقة المختلفة، وبكيفية الوجود في حيّز يحاول العدوّ إنكاره ومحوه وطمسه، لكنّ الإصرار على التنفّس والحديث والغناء هو تعبيرٌ عن ذلك التصدّع والتمزّق بسبب العنف الاستعماري الاستيطاني الموجَّه ضدّ الإنساني الفلسطيني على مدى عقود.

يُوظّف الفنّانان مواد أرشيفية إلى جانب مقطوعات من الموسيقى الإلكترونية والتسجيلات التي تتضمّن مقاطع صوتية وصوراً، تتجاور مع اقتباسات من نصوص شعرية ونقدية باللغتين العربية والإنكليزية، في ترسيخ لمفهوم يعكس جوهر مقولتهما «شعرية المقاومة»، التي ترتكز على إنشاء خطابات مضادّة للأنظمة الاستعمارية، لا تغفل جماليات الصوت بشكله المجرّد، والذي يُحيل إلى نداء الأرض والمقاومة.

خطاباتٌ مضادّة لا تغفل جماليات الصوت الذي يُحيل إلى نداء الأرض

من تجهيز للفنّانَين في «متحف ميغروس للفنّ المعاصر» بزيورخ، 2022 (ستيفان ألتنبرغر)

إطلالة

الكُتّاب حيطاً واطئاً عن معاركنا الصغيرة

معاركُ صغيرة في كلّ مكان، تشتعل وتُحرق بلظاها جميع الأطراف المشاركة، غير أنّها تشتعل وتنطفئ فوراً، كي تنتقل الشرارة إلى معركة صغيرة أُخرى

يزن الحاج

نشَر ممدوح عدوان مقالته العظيمة «مهاجرون وأنصار» في مجلّة «الناقد» عام 1989. المقالة عظيمةٌ لا لكونها سجاليةً مغموسة بسخرية لاذعة موجعة للكاتب ولقرّائه في آن وحسب، بل لأنّ طروحاتها طازجة، وستبقى طازجة، بصرف النظر عن التقلّبات والتغيّرات الجمّة التي نُكبت بها بلادنا. كان لها أن تُستعاد في حرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت)، وفي الثالثة (غزو أميركا للعراق)، وفي زمن الانتفاضات العربية، وما تلاها من ثورات مضادّة. المقالة ليست سياسية بالمعنى الضيّق للمفردة، وهي سياسية جدّاً حين نستعيد معنى السياسة ودورها في الكتابة. وتلك كانت إحدى نقاط السجال التي طرحها عدوان في مقالته.

يُهاجم عدوان ثنائية «المهاجرين» و«الأنصار» التي بدأت تخيّم عربياً منذ نهاية الثمانينيات، وتجذّرت أكثر بعد موجات النزوح واللجوء والهجرات بُعيد الانتفاضات العربية، حيث «المهاجرون» هم مثقّفو الخارج، و«الأنصار» هم مثقّفو الداخل. وبدا طبيعياً أن عدوان منحازٌ بمعنى ما إلى الأنصار بما أنّه أحدهم، إذ هو مُطالَب دوماً بالثورة على الوضع القائم، بينما أقرانه المهاجرون بعيدون عن لظى التعذيب والملاحقة والقمع. لعلّ الصورة تغيّرت قليلاً بعد الانتفاضات، وتلاشى جزء من تلك الثنائية، غير أنّ الطروحات هي هي، إذ يهاجم عدوان «الحروب الأهلية» بين مثقّفي الداخل والخارج، حين يكون هؤلاء المثقّفون أنفسهم جلّادي أنفسهم وغيرهم وضحاياهم في آن. «تحدث الهزائم والمجازر والاختناقات، ولا يجرؤ أحد على توجيه تهمة. ويظلّ الأديب العربي وحده في قفص الاتهام: هل قام الأديب العربي بدوره في...؟ ... لماذا؟ لأنّه لا يستطيعون توجيه أسئلة مشابهة إلى رجُل السياسة أو الاقتصاد أو الجيش. الأسهل توجيه التهمة إلى الأديب».

قد تشوب مظلوميةَ عدوان بعضُ المبالغة، لو اكتفينا بهذا الاقتباس وحده، برغم واقعيته وصحّته، غير أنّ معناه يتكامل حين يشنّ هجوماً آخر لا يقلّ ضراوة على المثقّفين المطالبين بـ «نقاء» الثقافة، أي غربلة السياسة منها، بحيث يحافظ الفنّ على فنّيته وجمالياته. صحيحٌ أنّ الشرط اللازم والكافي للفنّ هو سموّه الجمالي، غير أنّ هذا السموّ لا يتعارض مع «الالتزام»، لو اخترنا مفردةً بائدة، أو مع شنّ المعارك الحقيقية، لا المعارك الصغيرة، كما يحدث لنا اليوم.

معارك صغيرة في كلّ مكان، تشتعل وتُحرق بلظاها جميع الأطراف المشاركة، غير أنّها في واقع الحال تشتعل وتنطفئ فوراً، كي تنتقل الشرارة إلى معركة صغيرة أُخرى. حتى ميادين تلك المعارك موقّتة؛ انتهى زمن السجالات الثقافية الحقّة لأنّ منابر الثقافة تلاشت، وظهرت منابر أُخرى تتناسب مع تلك المعارك الصغيرة. لا مجلّات، بل بودكاست. لا جامعات، بل تغريدات. لا مظاهرات وتجمّعات، بل طاولات مقهى انتقلت من الشارع إلى الكيبورد. معارك تبدو للعين غير المدقّقة مهمّة، بيد أنّ أهميتها ظاهرية لأنها فعلياً تنسف أهمّيتها التي قامت على أساسها.

ناشطون بيئيون يرشقون الشوربة على اللوحات الفنّية كي يحتجّوا على الطاقة غير النظيفة التي تقتل الكوكب؛ ناشطون آخرون اختاروا سكب حبر في نافورة تاريخية ليلفتوا الانتباه إلى شح المياه، متجاهلين المياه التي أُهدرت في تنظيف تلك النافورة من حبر الاحتجاج. تبدو تلك المعارك بعيدةً عنّا، إذ هي معارك بيضاء مضحكة بالنسبة إلينا. ولكن ماذا عن معاركنا؟ مصوّر فلسطيني واضح السذاجة السياسية يمدح سُلطة، فيتركز الهجوم على المصوّر لا على السُّلطة. مؤثّرة تنشر كتاباً فيزدحم المعرض بطوابير جمهورها، ويُجنّ المثقّفون ويندبون القاع الذي وصلت إليه الثقافة، ويتناسون أنّ السُّلطة التي تسمح لناشر وتمنع آخر بجرّة قلم هي صاحبة المسؤولية الأُولى والأخيرة عن هذا التردّي. من يتذكّر حصّة قراءة في مدارس اليوم؟ من سمع بنقاش جامعي حقيقي؟ من يتذكّر مقالة جيّدة؟

يهاجم المثقّفون ضحايا يشبهونهم لأنّهم لا يجرؤون، أو لا يودّون الهجوم على الجلّاد الفعلي، فتُختزَل المعارك السياسية (وكلّ المعارك سياسية في جوهرها) إلى معارك صغيرة يظنّون أنّ حلّها بسيط، يُستبدل مؤثّر بمؤثّر أو رئيس تحرير برئيس تحرير أو أستاذ جامعي بآخر. يهاجمون عسكرة السلطة الناصرية، ويتغنّون بعسكرة السيسي؛ عسكرة بسمنة وعسكرة بزيت، بل ثمّة من يترحّم على صلاح جديد مثلاً، ويتحسّر على العسكرة الضائعة التي حُرمنا منها وابتُلينا بعسكرة حافظ الأسد. نندب تردّي الثقافة والأدب والفنّ ولا نجرؤ على هدم سقوف الرقيب، بل نفضّل التحايل، بحجّة تنقية الفنّ من وحل السياسة.

ثمّة من يُفضّل تجاهل هذه المعارك كلّها، كبيرها وصغيرها، داعياً إلى ثقافة غير سياسية، متناسياً عبارة عبد الرحمن منيف الثاقبة، في حواره مع فيصل درّاج في مجلّة «الكرمل» عام 2000، حين أشار إلى أنّ «اللاسياسة في الأدب هي سياسة»، أي أنّ الدعوة إلى نزع السياسة من الثقافة والفنّ هي سياسة من نوع آخر، سياسة مهادنة وترويض وخنوع. إذ يُذكّرنا منيف بأنّ الأديب الذي يعلن نفوره من السياسة وابتعاده منها يعني بالضرورة «أنه مع ما هو قائم، وما هو قائمٌ يؤدّي، حُكماً، إلى إلغاء الحلم، ومصادرة الغد، والوقوف ضد التغيير».

الهروب من وحل السياسة يعني بالضرورة الغوص في وحل المعارك الصغيرة التي لا تكتفي بكونها عاجزة عن التغيير، بل تُسهم فعلياً في تكريس التردّي الذي تظنّ أنّها تُقارعه. وكما أنّ معركة الشوربة واللوحات تبدأ وتنتهي في صالة متحف، فإنّ معركة الهجوم على الخصوم الأضعف تبدأ وتنتهي في فيسبوك أو تويتر أو يوتيوب. ما من تغيير ثقافي حدث بمعركة صغيرة، وما من نهضة ثقافية ترسّخت بمهادنة السُّلطة، فالثقافة - بمعناها الجوهري - ثقافةٌ معارِضة، حتى وإنْ كانت السُّلطة «متسامحةً» مع الثقافة.

إنّه محض سقف آخر، لا سماء.

(كاتب ومترجم من سورية)

يهاجم المثقّف أشخاصاً يشبهونه لأنّه لا يجرؤ على الجلّاد

سعد يكن، زيت وغواش على قماش، 49 × 66 سم

فعاليات

يُنظّم «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت، عند الخامسة من مساء بعد غدٍ الأربعاء، حفل إطلاق كتاب **هكذا نعود: ذكريات أسرة فلسطينية في نقوش طينية وصور ونصوص** للفنّانة والأكاديمية الفلسطينية **فيرا تماري** (الصورة)، يُحاورها خلاله الباحث سليم تماري. يضيء العمل سيرة عائلة المؤلّفة بين مدينتَي القدس ويافا.

حتى السادس عشر من حزيران/يونيو الجاري، تستمرّ فعاليات الدورة الثالثة والثمانين من **معرض مدريد للكتاب**، والتي انطلقت في الأوّل من الشهر نفسه تحت شعار **مرِّن عقلك واقرأ جسدك**. تشارك في التظاهرة قرابة 213 دار نشر و117 مكتبة و350 منفذاً للبيع، وتشهد تنظيم العديد من الفعاليات الثقافية؛ بين ندوات ولقاءات وتوقيعات كتب وقراءات وأمسيات شعرية.

يُقيم «متحف الفنّ الإسلامي» في الدوحة، عند الخامسة والنصف من مساء بعد غد، ندوة بعنوان **الوجود النسائي وقصر الحمراء**. يتحدّث الباحثان **باربارا بولويكس- غالاردو** (الصورة) و**خوسيه ميغيل بويرتا فيلشيز**، في الندوة، عن حضور المرأة، السياسي والهندسي والفنّي والرمزي، في القصر الأندلسي الذي شُيّد خلال القرن الرابع عشر.

حتى السابع من الشهر المقبل، يتواصل في «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» بعمّان معرض **العمارة الأندلسية: ملتقى الشرق والغرب الإسلاميَّين**. المعرض، الذي افتتح الخميس الماضي، يضمّ أربعين عملاً فوتوغرافياً تصوّر حصوناً وأسواراً وقصوراً وأسواقاً ومساجد من مدن مختلفة في الأندلس.